Rooh-e-Tahqeeq, Vol.04, No.01, Serial No. 11, January – March 2026

TRACES OF CLASSICAL ARABIC LITERATURE IN JOKHA AL-HARTHI'S SAYYIDAAT AL-QAMAR

آثار الأدب العربي الكلاسيكي في رواية ''سيدات القمر''لجوخة الحارثي

Dr. Muhammad Javed
Associate Professor of Arabic, University of the Punjab, Lahore
drjmmajeed.oriental@pu.edu.pk

Abstract:
The paper explores the presence and function of classical Arabic literary references in Jokha al-Harthi's award winning novel *Celestial Bodies* (*Sayyidaat al-Qamar*). Awarded the 2019 International Booker Prize, the novel transcends its narrative of Omani society and womanhood to engage deeply with the cultural and literary legacy of the Arab-Islamic world. The study identifies key instances where classical Arabic poetry and prose are embedded into the novel's fabric. These references are not mere aesthetic embellishments but serve as structural and thematic tools that link past literary traditions with contemporary narrative forms. The paper argues that al-Harthi's use of classical literature reinforces the cultural identity of her characters and provides depth to their personal and social struggles. By interweaving heritage with innovation, *Celestial Bodies* exemplifies a dynamic literary continuum within modern Arabic fiction.

Keywords:
Classical Arabic literature, Intertextuality, Sayyidaat al-Qamar, Jokha al-Harthi, Celestial Bodies, Arabic fiction, Literary heritage.

تعد جوخة الحارثي من أبرز الأصوات الروائية في الأدب العربي المعاصر.(١) وقد استلهمت المجتمع العماني في أعمالها الأدبية مستثمرة ما تزخر به من أبعاد ثقافية واجتماعية ونفسية. وقد جعلت من هذا المجتمع فضاءً رحبًا لتجربتها الإبداعية ومشروعها السردي. وتتجلى في أعمالها مظاهر الصراع بين التقاليد والحداثة والعالم الداخلي للمرأة والتحولات التي أصابت البنية الأسرية واستعادة الذاكرة الحضارية، فضلًا عن تصويرها الدقيق لتعقيدات المشاعر الإنسانية. ولم تكتف جوخة بتقديم أسلوب فني متميز في الكتابة الروائية بل استطاعت من خلال رؤيتها الإبداعية العميقة أن تحتل مكانة بارزة في الأوساط الأدبية العالمية. فالمجتمع المحلي في نصوصها لا يبدو فضاءً جغرافيًا فحسب بل يتحول إلى نص حضاري حي تتداخل فيه عناصر التاريخ والتراث والذاكرة والتجربة الإنسانية في نسيج فني متماسك.

وقد ترسّخت شهرتها العالمية من خلال روايتها "سيدات القمر" التي صدرت ترجمتها الإنجليزية بعنوان *Celestial Bodies*عام ٢٠١٨م(٢) وأسهمت في لفت الأنظار إلى الأدب العربي على نحو غير مسبوق. ثم توّجت الرواية عام ٢٠١٩م بجائزة Man Booker Prize الدولية(٣) في سابقة تاريخية هي الأولى من نوعها لرواية عمانية وعربية. ولم يكن هذا الإنجاز اعترافًا بالقدرات الإبداعية لجوخة وحدها بل مثّل خطوة راسخة نحو تكريس حضور الرواية العربية في التيار الأدبي العالمي. وقد ترجمت أعمالها إلى لغات عدة منها الإنجليزية والإيطالية والألمانية والصربية والكورية مما يدل على أن نصوصها رغم تجذّرها في البيئة المحلية تمسّ وترًا إنسانيًا كونيًا.

وتبدو رواية "سيدات القمر" في ظاهرها حكاية أسرة واحدة غير أنها تنطوي في حقيقتها على سرد رحب للتحولات التاريخية والاجتماعية والثقافية في المجتمع العماني عبر مراحله المختلفة. وتدور أحداثها في فضاء قرية العوافي حيث ترصد الكاتبة من خلال ثلاثة أجيال متعاقبة مظاهر التغير الاجتماعي وتحولات البنية الأسرية والتفاوت الطبقي والتطور الاقتصادي، فضلًا عن تشابك العلاقات الإنسانية وتعقيداتها. وتحضر جدلية التقليد والحداثة في الرواية حضورًا متواصلًا متجسدة في شخصيات تمثل كل منها بطريقتها الخاصة التوتر القائم بين الموروث ومتطلبات الحاضر.

وتتمحور الرواية حول ثلاث شقيقات: ميّا وأسماء وخولة، تتباين في تكوينهن النفسي وسلوكهن الاجتماعي ونظرتهن إلى الحياة. فأسماء تمثل المرأة الخاضعة لمنطق الواجبات الاجتماعية المتمسكة بالقيم التقليدية في اختياراتها. وخولة على النقيض منها متمردة تصر على انتظار الحب وترفض كل ما عداه حتى يغدو انتظارها جزءًا من هويتها وتوقها إلى الحرية. أما ميّا فشخصية تعيش في ظل انكسار عاطفي قديم تلجأ إلى الزواج بعد حب فاشل، فتسكنها حالة من الصمت والتعقيد النفسي. ومن خلال هذا المثلث الإنساني تكشف الحارثي بعمق و دقة عن صراعات المرأة الداخلية في مواجهة الضغوط الاجتماعية والتوترات بين الرغبة الشخصية والقيد الخارجي.

وتفتتح الرواية بمشهد ميّا على آلة الخياطة، مشهد يبدو عاديًا في ظاهره لكنه يرسي الأساس الرمزي للعمل بأكمله إذ يتحول فعل الخياطة إلى استعارة لرتق الحياة المتصدعة وجمع الذكريات المتناثرة. وعلى المنوال ذاته فإن أحمر الشفاه الذي تخفيه خولة ليس مجرد أداة تجميل بل هو أيضًا رمز لوعيها المتمرد ومقاومتها الهادئة للقيود المفروضة عليها. وتزخر الرواية بهذه التفاصيل الدالة التي تمنح السرد طبقات متعددة من المعنى وتضفي على النص عمقًا فنيًا وفكريًا.

تتميز الرواية بتقنية سردية غير تقليدية. فهي لا تسير وفق بناء خطي متسلسل. وإنما تتحرك بحرية بين الشخصيات والأزمنة والذكريات. وكل فصل يكشف عن عقدة جديدة بينما يدرك القارئ تدريجيًا العلاقات الخفية بين الأحداث في تراكم دلالي متصاعد. وبهذه التقنية استطاعت الحارثي أن تمنح تعقيد الهوية العربية الحديثة صياغةً فنيةً تتفاعل فيها عناصر الرواية والذاكرة والتحول الاجتماعي في اندماج دلالي عميق.

وبهذا المعنى تصبح "سيدات القمر" أكثر من مجرد حكاية شخصيات. إنها مرآة للحياة الاجتماعية في عمان ووثيقة ثقافية ترصد الانتقال من التقليد إلى الحداثة وتفكك المنظومة الأسرية، وتحولات مكانة المرأة والتوترات الكامنة في صميم بنية المجتمع. كما أن موضوعاتها الكبرى من وحدة وحب وحرمان وصراع هوية، لا تبقى محصورة في إطارها المحلي بل تتسع لتلامس تجربة إنسانية كونية تتخطى الحدود الجغرافية والثقافية.

وفي سياق أشمل فقد ظهرت أولى الروايات العربية الحديثة مع رواية "زينب" عام ١٩١٣م(٤) ثم توالت الإنجازات حتى حصل نجيب محفوظ عام ١٩٨٨م على جائزة نوبل في الأدب(٥) قبل أن تتوّج رواية "سيدات القمر" مسيرة قرن كامل من التطور بفوزها بجائزة Booker الدولية عام ٢٠١٩م. وهكذا قطعت الرواية العربية في مئة عام مسافةً شاسعةً، من البدايات الأولى إلى أرفع منابر الاعتراف الأدبي العالمي، مثبتةً أن الرواية العربية بما تمتلكه من تنوع فني ووعي ثقافي وبصيرة إنسانية قادرة على احتلال مكانة متقدمة في المشهد الأدبي العالمي.

O

سيدات القمر رواية متميزة وجديرة بالاهتمام من جوانب متعددة. ولعل من أبرز خصائصها الفنية لغتها السهلة السلسة القريبة من نبض الحياة اليومية. فاللغة في الرواية تجمع بين حيوية العربية المتداولة وبين الانفتاح على مفردات وتعابير وإشارات ثقافية تنتمي إلى لغات وبيئات مختلفة. وقد أدرجت هذه العناصر في النسيج السردي بصورة طبيعية وعفوية، الأمر الذي أضفى على الرواية أبعادًا فنية وثقافية أكثر اتساعًا وثراءً. فعلى سبيل المثال يقول أحد الشخصيات باللغة الإنجليزية: ''نعم تي.. مور تي بليز.''(٦) كما ترد بعض العبارات الإنجليزية بصياغة صوتية عربية مثل: ''ديليت، لت ات جو'' وكذلك: ''أوه دير.. ليت ات جو''(٧). وفي موضع آخر حين تخبر شخصية من الرواية تدعى لندن صديقتها عن لقائها بخطيبها، تجيبها صديقتها بقولها: ''سو وات ؟'' (٨) وتكشف هذه الأمثلة عن أن الكاتبة لم تتعامل مع اللغة بوصفها مجرد أداة للتعبير بل جعلتها علامة دالة على التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة ووسيلة فنية تعكس تداخل اللغات والهويات وأنماط الحياة في المجتمع الحديث .

وكذلك ترد في الرواية بعض الألفاظ ذات الأصل الأردي، الأمر الذي يزيد من إبراز تنوعها الثقافي واللغوي. فعلى سبيل المثال يقول أحد الشخصيات: ''ما يقدّر قيمة البِيسة'' حيث إن كلمة ''بيسة'' تعود في أصلها إلى اللفظ الأردي ''پيسة'' الذي يعني النقود أو المال القليل. وقد تكرر استعمال هذه الكلمة في مواضع متعددة من الرواية(٩) مما يدل على أن الكاتبة قدّمت بصورة طبيعية ذلك التداخل اللغوي الذي يميز المجتمعات الخليجية وهو تداخل نشأ عبر قرون طويلة من العلاقات الحضارية والتجارية مع جنوب آسيا. ومن خلال هذه الإشارات اللغوية الدقيقة تكشف الرواية عن عمق التفاعل الثقافي بين البيئات المختلفة وتجعل اللغة نفسها شاهدًا على الامتداد التاريخي للتواصل الإنساني والحضاري.

ومن الخصائص المهمة الأخرى في الرواية طابعها الدولي ومتعدد الثقافات ويتجلى ذلك في إشارات متكررة إلى بلدان وحضارات مختلفة مثل مصر(١٠)، وسوريا(١١)، والهند(١٢)، وباكستان(١٣)، وإندونيسيا(١٤)، والفلبين(١٥)، وإيران(١٦) وغيرها. وتكشف هذه الإحالات عن أن العالم الروائي في *سيدات القمر* لا يظل محصورًا في إطار جغرافي ضيق بل ينفتح على ثقافات وقوميات وتجارب اجتماعية متنوعة. ومن ثمّ فإن الرواية على الرغم من تجذرها في البيئة المحلية العمانية تكتسب أفقًا إنسانيًا وحضاريًا واسعًا يجعلها منسجمة مع الحس الثقافي العالمي ومعبرة عن تداخل الهويات والتجارب في العالم المعاصر.

غير أنّ أبرز ما يميز رواية *سيدات القمر* وأكثر ما يترك أثرًا عميقًا في نفس القارئ هو كثافة الإحالات إلى الأدب العربي الكلاسيكي وانتشارها في أنحاء النص. وإذا كان الإفادة من التراث الأدبي الكلاسيكي تعد ظاهرةً معروفةً في تقاليد الرواية الأردية أيضًا إذ تكثر الإشارات الأدبية والدينية في روايات دبتي نذيرأحمد (١٧)، كما تسود في رواية''*أمراؤ جان أدا*'' (١٨) أجواء مشبعة بالإحالات الشعرية، وتظهر كذلك آثار الأدب الكلاسيكي بوضوح في رواية''*كئي چاند تهے سرِ آسمان*'' (١٩). فإن رواية *سيدات القمر* تتميز عن غيرها من الروايات العربية الحديثة بما تحمله من حضور واسع ومتواصل ومكثف للنصوص والإشارات الكلاسيكية العربية حتى يصعب العثور على نظير لها في كثير من نماذج الرواية العربية المعاصرة. وهذه الخصيصة الأدبية هي التي منحت الرواية مكانتها المتفردة في سياق السرد العربي الحديث وجعلتها نصاً يجمع بين الحداثة الفنية والعمق التراثي في آن واحد.

تبدأ ملامح الأدب العربي الكلاسيكي والتراث العلمي الإسلامي في الظهور داخل الرواية منذ صفحاتها الأولى. ففي الصفحة الثلاثين يرد ذكر *مسند الإمام الربيع بن حبيب*.وهو ما يشير إلى أن الفضاء الفكري للرواية لا يقتصر على تصوير الحياة الاجتماعية المعاصرة فحسب بل يقوم في خلفيته أيضًا حضور واضح للتراث الديني والعلمي. ثم يرد بعد ذلك مباشرة في الصفحة الحادية والثلاثين استشهاد بحديث نبوي معروف. الأمر الذي يكشف عن أن الكاتبة لم تتعامل مع التراث الإسلامي بوصفه مجرد رمز ثقافي أو عنصر زخرفي وإنما قدمته باعتباره جزءًا حيًا وفاعلًا من الوعي اليومي والشعور الجمعي داخل المجتمع الذي تصوره الرواية.

وفي السياق نفسه يرد مثال بالغ الأهمية في مشهد 'ميا'. وهي تتصفح كتب مكتبتها المنزلية حيث تتنقل عيناها بين عدد من المصنفات الكلاسيكية والأدبية المختلفة مثل:

> ''كتاب فاكهة ابن السبيل... كتاب المستطرف... ديوان عنترة... كتاب قصص الأنبياء... الجزء الثاني من العقد الفريد للإمام الفاضل الوحيد شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي المالكي... زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي المعروف بالحصري القيرواني المالكي... هناك أيضًا ذلك الكتاب الأزرق المعنون بكليلة ودمنة ...''(۲۰)

ويكتسب هذا المقطع أهمية متعددة الجوانب حيث يتضح من خلاله أولًا أن شخصيات الرواية تعيش داخل فضاء ثقافي ومعرفي يجعل من الأدب الكلاسيكي جزءًا من الحياة اليومية لا مجرد إرث تاريخي منفصل عن الواقع المعاش. ثانيًا يلفت النظر تنوع المصادر والكتب التي ترد في هذا السياق بما يعكس اتساع المرجعية الثقافية التي تستند إليها الرواية. فمن بين هذه الكتب *المستطرف* بما يحمله من طابع أدبي وحكائي و*ديوان عنترة* بوصفه إرثًا شعريًا عربيًا أصيلًا و*قصص الأنبياء* بما تمثله من رواية دينية تراثية و*العقد الفريد* باعتباره موسوعة أدبية معروفة و*زهر الآداب وثمر الألباب* بوصفه من المصنفات الأدبية الكلاسيكية وكذلك *كليلة ودمنة* بما تحمله من بعد تمثيلي وحكائي رمزي. ويؤكد هذا التنوع أن الكاتبة قد استحضرت مصادر التراث العربي الأدبي والفكري والديني بصورة واعية ودمجتها في نسيجها السردي بما يعكس ثراء الذاكرة الثقافية العربية وتعدد روافدها.

وبهذا المعنى فإن هذا المشهد القصير لا يقتصر على كونه تفصيلًا سرديًا عابرًا بل يتحول إلى علامة دالة على الخلفية الثقافية والأدبية التي يقوم عليها النص الروائي بأكمله. يكشف عن وعي عميق باستحضار التراث العربي في تنوعه ودمجه داخل البناء السردي للرواية بما يمنحها امتدادًا حضاريًا وتاريخيًا واسعًا.

في رواية *سيدات القمر* لا ترد الاقتباسات من الشعر العربي الكلاسيكي في صورة شواهد أو اقتباسات فحسب بل تظهر بوصفها جزءًا من البنية العاطفية والفكرية والنفسية للنص. فقد نجحت الكاتبة في دمج التراث الشعري القديم داخل العالم الداخلي للشخصيات بحيث تصبح الأبيات الكلاسيكية معبرة عن الحب والقلق والوحدة والاضطراب النفسي والحالات الروحية المختلفة.

ففي أحد المواضع يقوم أحد شخصيات الرواية، عزان، بإمساك وجه محبوبته نجية بين يديه ويشرع في قراءة أبيات من شعر مجنون ليلى:

إني أرى مكان البدر إن أفل البدر
وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها
وليس لها منك التبسم والثغر
لك الشرفة اللآلئ والبدر طالع
وليس لها منك الترايب والنحر
ومن أين للشمس المنيرة بالضحى
بمكحولة العينين في طرفها فتر
وأنى لها من دل ليلى إذا انثنت
بعيني مهاة الرمل قد مسها الذعر(٢١)

هذه الأبيات ليست مجرد تعبير رومانسي بل تنقل بكاملها تقليد الحب في الشعر العربي الكلاسيكي إلى السرد الحديث. وفي هذا السياق قدمت الروائية التحول الفكري والجمالي الذي طرأ على شخصية نجية بصورة بالغة الجمال. فقبل لقائها بعزان كانت ترى الشعراء الكلاسيكيين مجرد أسماء جامدة لا حياة فيها.

''من قبل أن تعرفه، كانت أسماء مثل المتنبي وابن الرومي والبحتري ومجنون ليلى خيالات شاحبة في الكتب، خيالات بلا حياة تنتمي لعالم المدرسة البغيض... '' (٢٢)

لكن قرب عزان يضفي حياةً على تلك الأسماء الميتة. فاضطراب المتنبي أصبح يشعر به كاضطراب خاص به، وصور البحتري الحسية باتت حيةً في مخيلتها بينما أصبح قول امرئ القيس الشهير''اليوم خمر وغدًا أمر'' الجملة الختامية لسهراتها الليلية. وكأن تجربة الحب قد فتحت لنجية أبواب الأدب الكلاسيكي.

وفي الصفحة نفسها تنقل أيضًا بعض الأبيات الصوفية لسعيد بن خلفان الخليلي:

وما لي من سعي وما لي من رضا
سوى نسبة منه بها قد تكرّما
ولا قدرة لي أن أريد مراده
فكيف مرادي إن أردت كنت أظلما
مرادي لي أن لا أرى لي إرادة
وتلك له عين الإرادة في العمى(٢٣)

تبرز هذه الأبيات الطابع الصوفي في الرواية، وما تحمله من أفكار تتعلق بالقدر وشعور الإنسان بالعجز أمامه. ومن خلالها يتضح أن الرواية لا تقتصر على السرد العاطفي أو الاجتماعي بل تمتد إلى عمق روحي وعرفاني حاضر بقوة في بنيتها الداخلية.

كما أن الرواية تحفظ أيضًا جانبًا من الموروث الديني والثقافي الشعبي . ويتم ذلك من خلال استعادة إحدى الشخصيات ذكريات الطفولة قائلةً إنها كانت في موسم الحج تنشد مع صديقاتها الأناشيد النبوية:

محمد هابط الوادي
بلا ماء ولا زاد

محمد هابط الجنة
بنات الحور يجررنه
تمّت صلاتي على النبي
تمّت صلاتي على الرسول(٢٤)

تبرز هذه الأبيات في الرواية امتزاج الثقافة الدينية الشعبية، والذاكرة الجماعية النسائية، والتقاليد التراثية الشعبية.

وفي الصفحة نفسها يرد ذكر لمجالس الشعر التي كانت تدور أسماء وبين والده حيث كان والده يقرأ في الغالب أبيات المتنبي. ويظهر هذا أن الشعر الكلاسيكي في ذلك المجتمع ليس مجرد مادة دراسية أو إرث ثقافي نظري بل هو جزء حي من الحياة المنزلية والاجتماعية اليومية.

وعندما يتلو عزان أبيات ابن الرومي تصفه نجية بأنه ''متشائم''. ثم ينشد لها عزان هذه الأبيات:

أعانقها والنفس بعد مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان
وما كان مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه ما ترشف الشفتان
فإن فؤادي ليس يشفي رسيسه
سوى أن ترى الروحان تمتزجان(٢٥)

تمثل هذه الأبيات الجوانب العاطفية والنفسية العميقة في الغزل العربي الكلاسيكي. وكذلك يقوم عزان بإلقاء بعض الأبيات المشهورة للمتنبي على نجية:

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا زج الحواجيب
ما أوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وللبداوة حسن غير مجلوب(٢٦)

تقدم هذه الأبيات تقابلًا بين جماليات الحياة الحضرية والبدوية كما ترتبط ارتباطًا عميقًا بالخلفية الثقافية للرواية. فالرواية في جوهرها لا تقتصر على سرد حكاية بل تجسّد أيضًا صراعًا وتداخلًا بين التقليد والحداثة وبين البداوة والحضارة وبين الثقافات المحلية والعالمية في سياق من التفاعل والامتزاج.

وفي السياق نفسه يرد أيضًا ذكر وصية الإمام الغزالي المتعلقة بعدم الزواج كما يرد كذلك البيت الشهير للمتنبي تمت صياغة عبارة ''الخيل والليل والبيداء''في أسلوب نثري بالغ الجمال. (٢٧)ويؤكد هذا

الأسلوب أن الروائية لم تكتف بمجرد نقل التراث الشعري الكلاسيكي بل أعادت توظيفه ضمن إطار التعبير الفني الحديث وقدّمته في سياق جمالي جديد يدمج بين الأصالة والتجديد.

لا تقتصر الإحالات إلى الأدب العربي الكلاسيكي في رواية *سيدات القمر* على الاقتباسات الشعرية فحسب بل تمتد لتشمل أيضًا الروايات النثرية القديمة والتقاليد التاريخية والاتجاهات الفكرية والتصورات العاطفية المتجذرة في التراث العربي. ففي أحد المواضع يذكر كتاب *طوق الحمامة*(٢٨) وترد في سياقه رواية تتعلق بتلاقي الأرواح، وهو ما يُشير إلى أن مفهوم الحب في الرواية لا يقدّم بوصفه تجربة عاطفية أو جسدية فقط بل يتأسس أيضًا على خلفيات فلسفية وتصورات عشقية مستمدة من التراث الإسلامي والفكر الكلاسيكي.

ثم يتذكر أحد الشخصيات، خولة، أن هذه الرواية المتعلقة بتلاقي الأرواح وردت في كتاب *الزهراء* لا في *طوق الحمامة* وهو تفصيل دقيق يعكس وعيًا معرفيًا بالتمييز بين المصادر الكلاسيكية ويكشف عن حضور علمي بارز لدى الكاتبة وعن إحاطة عميقة بالمراجع التراثية واستخدامها استخدامًا واعيًا داخل البناء السردي للرواية.

تظهر في الرواية أيضًا أبعاد الحب العالمية والثقافية بصورة شديدة الجاذبية. فخولة التي تعاني من الوحدة بعد زواج أسماء تشبّه نفسها ببطلات قصص الحب المختلفة:

'' إنها فرجيني في قصة بول وفرجيني، وليلى في قصة مجنون ليلى، وجولييت في قصة روميو وجولييت...'' (٢٩)

يبرز هذا المقطع حقيقةً مفادها أن الفضاء العاطفي في الرواية لا يقتصر على التراث العربي وحده بل يتصل أيضًا بالتراث الأدبي العالمي. وكذلك تحضر في الرواية الملامح العلمية والتاريخية العمانية بصورة واضحة، إذ يذكر أن أحد الشخصيات،زوج أسماء يدعى خالد ،يقرأ كل ليلة كتاب *تحفة الأعيان في تاريخ أهل عمان* للشيخ نور الدين السالمي ويحفظه عن ظهر قلب. وفي السياق نفسه يرد ذكر النونية المشهورة لأبي مسلم البهلاني:

تلك البوارق حاديهن مرنان
فما لطرفك يا ذا الشجو وسنان
شقت صوارمها الأرجاء واهتزعت
تزجي خميسًا له في الجو ميدان(٣٠)

ثم يطلب منه والده أن يكرر هذه الأبيات مراراً وتكراراً :

تلك المعاهد ما عهدي بها انتقلت
وهن وسط ضميري الآن سكان
نأيت عنها ولكن لا أفارقها
بلى كم افترقت روح وجثمان
نزحت عنها بحكم لا أغالبه
لا يغلب القدر المحتوم إنسان(٣١)

تبرز هذه الأبيات موضوعات الهجرة والفراق والذاكرة والقدر. وهي موضوعات ترتبط ارتباطًا عميقًا بالجوّ العام للرواية وبنيتها السردية.

وكذلك تقدم الشعرية الكلاسيكية بوصفها عنصرًا حيًا داخل الحياة الأسرية واليومية. فعندما تزور أسماء والدها بعد زواجها تجده في حالة مرض ومع ذلك يطلب منها أن تنشد له أبيات المتنبي. وعليه تقوم بقراءة هذه الأبيات:

ليالي بعد الظاعنين شكول
طوال وليل العاشقين طويل
يبن لي البدر الذي لا أريده
ويخفين بدرًا ما إليه سبيل
وما عشت من بعد الأحبة سلوةً
ولكنني للنائبات حمول (٣٢)

ويعدّ هذا المشهد مثالًا واضحًا على أن الشعر الكلاسيكي في الرواية قد أصبح جزءًا من التسلية العاطفية والذاكرة والعلاقات الأسرية.

لا يقتصر نطاق الرواية على الأدب القديم بل يمتد أيضًا إلى الأدب العربي الحديث والموسيقى. إذ يرد فيها ذكر محمود درويش ونزار قباني وعبد الحليم حافظ وغيرهم. وفي السياق نفسه تعبر صديقة لندن، حنان، عن نفورها من الشعر والروايات الرومانسية قائلةً:

'' مع احترامي لكل الحب والمحبين والأغاني ونزار قباني والورود وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ والسهر والنجوم وكل الشعراء ، لكن الحب قلة العقل، لا سمع ولا بصر، لا تفكير ولا تدبير...'' (٣٣)

يعد ورود أسماء مثل نزار قباني وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ في هذا المقطع دلالةً على أن الثقافة العربية الكلاسيكية والحديثة في الرواية لا تظهر بوصفها عوالم منفصلة بل بوصفها بنية متداخلة ومترابطة تتجلى في نسيج ثقافي واحد. ويفضي هذا الامتزاج إلى جعل الرواية لا تقتصر على كونها سردًا اجتماعيًا أو نسويًا فحسب بل تتحول إلى تمثيل شامل للثقافة العربية بذاكرتها الجمعية واستمراريتها الأدبية وتنوع تجلياتها الفنية.

وفي الختام يمكن القول إن رواية سيدات القمر تكشف عن حضور كثيف وواع للتراث العربي الكلاسيكي في بنيتها السردية. و لا تأتي هذه الإحالات بوصفها عناصر زخرفية بل تؤدي وظائف دلالية وجمالية عميقة. فهي تربط بين الماضي والحاضر داخل النص الروائي. كما تعيد تشكيل الذاكرة الثقافية في سياق سردي حديث. وبهذا تتحول الرواية إلى فضاء يجمع بين الأصالة والتجديد في آن واحد .كما يتضح أن جوخة الحارثي وظّفت التراث الأدبي والديني والشعري توظيفًا فنيًا واعيًا. وقد دمجت هذا التراث داخل وعي الشخصيات وتجاربها اليومية. فلم يعد التراث نصوصًا منفصلة عن الواقع بل أصبح جزءًا من الحياة والسلوك والتفكير. وتؤكد الرواية بذلك استمرارية الثقافة العربية في صورتها المتجددة. و تمثل *سيدات القمر* نموذجًا للرواية التي توحد بين العمق التراثي والرؤية الحديثة للعالم.

☆☆☆☆☆

المصادر والمراجع

1) https://jokha.com/about-me/
2) Celestial Bodies (Trans. Marilyn Booth)Sandstone Press, UK, 2018
3) Aisha Alhadidiya, *Translating Slavery, Gender, and Religion: The Translation of Jokha Al Harthi's Sayyidat al-Qamar into Celestial Bodies* (MA thesis), Hamad Bin Khalifa University, College of Arts and Social Sciences, 2020, p. 4.

٤) محمد كاظم، تاريخ الأدب العربي، لاهور: سنگ ميل پبليكشنز، ٢٠٠٤م، ص ٤٤٦

٥) د. خورشيد رضوي، تاليف، لاهور: شەتاج مطبوعات، ١٩٩٥م، ص ١٣٨

٦) جوخة الحارثي، سيدات القمر، بيروت: دار الآداب، ٢٠١٠م، ص ٢٤(يعنىYes tea, more tea, please)

٧) نفس المرجع،ص١٧١(يعنى Let it go و Oh Dear! Let it go)

٨) نفس المرجع،ص٢١٣ يعنىSo what)

٩) نفس المرجع،صص٦٧، ٩١ ١٠) نفس المرجع،ص١٥٠ ١١) نفس المرجع،ص١٥٠

١٢) نفس المرجع، صص٦٤، ١٢٩، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٩، ١٩١، ٢٠٦

١٣) نفس المرجع،صص٧١، ١١١، ١١٣، ٢٠٦، ٢٠٧

١٤) نفس المرجع،صص٤٩، ١٥٤ ١٥) نفس المرجع،ص١٥٤ ١٦) نفس المرجع،ص١٢٤

١٧) إن نذير أحمد ألّف سبع روايات وترتبط موضوعات هذه الروايات جميعها بمشكلات اجتماعية مختلفة، كما أن تلك المشكلات الاجتماعية متصلة بحياة نذير أحمد نفسه وبحياتنا جميعًا، وبخبرات الحياة وأفكار الإصلاح وممارساته. ((نذير أحمد كے ناول، الدكتور أشفاق أحمد خان، مكتبة جامعة المحدودة، جامعة نكر، دلهي، ١٩٧٩م، ص ٩٣)) ولبيان أي غرض على الوجه الأكمل، فإن اختيار اللفظ المناسب في موضعه المناسب وإيراد الشاهد الشعري الملائم في مكانه الملائم يعدّ بمنزلة زيادة الحسن إلى الحسن. وقد أضفى نذير أحمد على أسلوبه مسحة من الجمال والطرافة من خلال توظيف الأشعار الأردية والفارسية- ((مرآة العروس: دراسة نقدية (رسالة ماجستير)، محمد سليمان ختك، قسم اللغة الأردية وآدابها، جامعة بيشاور، ٢٠٠٣—٢٠٠٤م، ص ٨٥))

١٨) تعدّ رواية ''أُمراؤ جان أدا'' للكاتب مرزا محمد هادي رسوا من الروايات الخالدة في الأدب الأردي. وقد مضى على نشرها أكثر من قرن من الزمان، ومع ذلك لم تفقد شيئًا من شعبيتها ومكانتها الأدبية حتى يومنا هذا. ويبدأ المؤلف في الغالب كل فصل من فصول الرواية ببيت شعري، كما تتناثر الأشعار في مواضع متعددة من متن الرواية. ((امراؤ جان أدا، مرزا محمد هادي رسوا،ايجوكيشنل بك اهائوس ، عليكره (الهند)، ١٩٨٨م))

١٩) يقول كاتب الأردي المعروف أسلم فرّخي إن رواية''كئي چاند تهے سرِ آسماں'' تعدّ أفضل عمل روائي في الأدب الأردي خلال القرن الحادي والعشرين. ((الغلاف الخلفي لرواية كئي چاند تهے سرِ آسماں، پينگوئن بكس، نيودلهي(الهند) ٢٠٠٦م))

٢٠) جوخة الحارثي، سيدات القمر، ص ٣٢.

٢١) نفس المرجع، ص١١٥ ٢٢) نفس المرجع،ص١١٦ ٢٣) نفس المرجع،ص١١٦

٢٤) نفس المرجع،ص١٤٥ ٢٥) نفس المرجع،ص١٥٦ ٢٦) نفس المرجع،ص١٦٥

٢٧) نفس المرجع، ص١٦٧، والبيتُ الشعري كاملًا كما يلي:

الخيل و الليل و البيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، ص ٨٣ (بدون تاريخ)

٢٨) طوق الحمامة وظل الغمامة في الألفة والألاف – ابن حزم الأندلسي / ت. عبد الحق التركماني – م. عبد العزيز الحربي بيروت: دارابن حزم (ط-٢)٢٠١٣م.

٢٩) جوخة الحارثى: سيدات القمر. ص١٨٨

٣٠) نفس المرجع،ص١٩٦

٣١) نفس المرجع،ص١٩٦

٣٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، ص ١٠٧ (بدون تاريخ)

٣٣) جوخة الحارثى: سيدات القمر، ص٢١٧

Bibliography

1) https://jokha.com/about-me/
2) Celestial Bodies (Trans. Marilyn Booth) Sandstone Press, UK, 2018
3) Aisha Alhadidiya, *Translating Slavery, Gender, and Religion: The Translation of Jokha Al Harthi's Sayyidat al-Qamar into Celestial Bodies* (MA thesis), Hamad Bin Khalifa University, College of Arts and Social Sciences, 2020, p. 4.
4) Muhammad Kazim, *Tarikh al-Adab al-Arabi*, Lahore: Sang-e-Meel Publications, 2004, p. 446
5) Dr. Khurshid Rizvi, *Taʾlif*, Lahore: Shah-Taj Matbuʿat, 1995, p. 138
6) Jokha Alharthi, *Sayyidaat al-Qamar*, Beirut: Dar al-Adab, 2010, p. 24 (i.e., "Yes tea, more tea, please")
7) ibid., p. 171 (i.e., "Let it go" and "Oh dear! Let it go").
8) ibid., p. 213 (i.e., "So what?")
9) ibid., pp. 67, 91.
10) ibid., p. 150.
11) ibid., p. 150.
12) ibid., pp. 64, 129, 145, 150, 169, 191, 206.
13) ibid., pp. 71, 111, 113, 206, 207.
14) ibid., pp. 49, 154.
15) ibid., p. 154.
16) ibid., p. 124.
17) Nazir Ahmad ke Novel, Dr. Ashfaq Ahmad Khan, Maktaba Jamiʿah Ltd., Jamia Nagar, Delhi, 1979, p. 93.
((Nazir Ahmad authored seven novels, and the themes of all these novels revolve around various social problems. Moreover, these social issues are closely connected to Nazir Ahmad's own life, as well as to the lives of all of us, to human experiences, and to ideas and practices of social reform)) and
Mir'at al-'Arus: Dirasah Naqdiyyah (M.A.Thesis), Muhammad Sulaiman Khattak, Department of Urdu, University of Peshawar(2003–2004) p. 85.
((In order to fully express any intended purpose in the best possible way, the selection of an appropriate word in its proper place, and the inclusion of a fitting poetic citation in its suitable context, is regarded as adding beauty to beauty itself. Nazir Ahmad enhanced his style with a touch of elegance and charm through the use of Urdu and Persian poetry.))
18) Umrao Jaan Ada, Mirza Muhammad Hadi Ruswa, Educational Book House, Aligarh (India), 1988.
((The novel "Umrao Jaan Ada" by Mirza Muhammad Hadi Ruswa is considered one of the timeless classics of Urdu literature. More than a century has passed since its publication, yet it has not lost any of its popularity or literary significance to this day. The author usually begins each chapter of the novel with a verse of poetry, and poetic lines are also scattered at various points throughout the narrative.))
19) Flap of the novel "Kai Chand thay Sar-e-Aasman", Penguin Books, New Delhi (India), 2006.
((The well-known Urdu writer Aslam Farrukhi says that the novel "Kai Chand Thay Sar-e-Aasman" is considered the best fictional work in Urdu literature in the 21st century.
20) Jokha Al-Harthi, Sayyidaat al-Qamar, p. 32.
21) ibid. p. 115
22) ibid. p. 116
23) ibid. p. 116
24) ibid. p. 145
25) ibid. p. 156
26) ibid. p. 165
27) ibid. p.167, and the complete poetic verse is as follows:
Al-khaylu wal-laylu wal-baydāʾu taʿrifunī
wal-sayfu wal-ramhu wal-qirṭāsu wal-qalam
Diwan Abi al-Tayyib al-Mutanabbi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 2, p. 83 (n.d.).
28) Tauq al-Hamama wa Zill al-Ghamama fi al-Ulfa wal-Alaaf – Ibn Hazm al-Andalusi / tahqiq: Abd al-Haqq al-Turkumani – M. Abd al-Aziz al-Harbi, Beirut: Dar Ibn Hazm, 2nd ed., 2013.
29) Jokha Al-Harthi: Sayyidaat al-Qamar, p. 188.
30) Ibid., p. 196.
31) Ibid., p. 196.
32) Diwan Abi al-Tayyib al-Mutanabbi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, vol. 2, p. 107 (n.d.).
33) Jokha Al-Harthi: Sayyidat al-Qamar, p. 217.

❖❖❖